ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

The impact of philosophy, logic, and language on the methods of religious discourse according to Amin Al-Khouli

Master. Asmaa Elhossiny Mohamed
Department Of Philosophy. Faculty of Women for Arts, Science & Education Ain Shams University – Egypt
asmaadhshan@hotmail.com
Salwa Mohammed Mustafa Nasra
Professor of Islamic philosophy Faculty of Women for Arts, Science & Edu, Ain Shams University - Egypt
Salwa.nasra2009@yahoo.com

Receive Date: 5 October 2023, Revise Date: 31 October 2023
Accept Date: 4 November 2023.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2023.240874.1574
Volume 4 Issue 3 (2024) Pp.152- 174.

Abstract

The word "discourse" in general. There are two types of usage that must be distinguished. The first is the common meaning among us, of developing new ways in which religious professionals address their audiences, such as using a soft or sympathetic style in their preaching to people. As for the second, it is the meaning derived from expressions of philosophy, especially post-modern philosophy. Which summarizes the discourse into a system of ideas, concepts, ways of thinking and attitudes towards a particular topic. This indicates how to deal with religious thought itself, in its approach to the methods of understanding the Qur'anic text, in order to crystallize the relationship between the preacher and the recipient, which Sheikh Amin Al-Khouli clearly emphasized and cared about. Therefore, the research aimed to study the most important basic principles and epistemological foundations of Amin Al-Khouli's intellectual system. In renewing the methods of religious discourse, the research used the analytical and critical method. By analyzing the fundamental relationship that Al-Kholy made between aesthetic philosophy and verbal art; It turns out that: renewing discourse is through renewing Arabic rhetoric, which in turn is the focus of the issue of the Qur'anic miracle, in order to create new methods of discourse that combine the two previous uses of it. The research also recommends conducting many researches and studies on this relationship between rhetoric and philosophy for the sake of an enlightened renewal of religious discourse.

***Keywords*:** Amin Al-Khouly, philosophy, rhetoric, religious discourse

أثر الفلسفة والمنطق واللغة على أساليب الخطاب الديني عند أمين الخولي

أسماء الحسيني محمد

باحث ماجستير ـ قسم الفلسفة

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

جامعة عين شمس ـ جمهورية مصر العربية

asmaadhshan@hotmil.com

أ.د. سلوى محمد مصطفى نصرة
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية البنات ـ جامعة عين شمس- مصر
Salwa.nasra2009@yahoo.com

المستخلص:

لقد أخذ الخطاب الديني بوصفه جملة من المقاصد والتعاليم الدينية، حيزا واسعا من الدراسات، حيث عكف المفكرون على قراءته وفهمه وتمحيصه، بغية التطور واللحاق بركب الحضارة، ولكلمة "الخطاب" عامةً؛ نوعين من الاستخدام يجب التمييز بينهما، أولهما هو المعنى الشائع بيننا، من استحداث طرق جديدة فى مخاطبة المشتغلين بالدين لجمهورهم، كأن يستخدموا أسلوبا لينا أو متعاطفا في وعظهم للناس، أما الثاني فهو المعنى المستمد من تعبيرات الفلسفة وخاصة فلسفة ما بعد الحداثة؛ والذي يلخص الخطاب في منظومة من الأفكار والمفاهيم وطرق التفكير والمواقف تجاه موضوع معين؛ وهو ما يشير إلى كيفية التعامل مع الفكر الديني ذاته، في مقاربته لأساليب الفهم للنص القرآني، لمحاولة بلورة العلاقة بين الخطيب والمتلقي، والتي أكد عليها وأهتم بها بوضوح الشيخ أمين الخولي، لذلك هدف البحث إلى دراسة أهم المبادئ الأساسية والأسس الابستيمولوجية لمنظومة أمين الخولي الفكرية في تجديده لأساليب الخطاب الديني، واستخدم البحث المنهج التحليلي والنقدي. ومن خلال تحليل العلاقة الجوهرية التي جعلها الخولي بين الفلسفة الجمالية والفن القولي اتضح أن: تجديد الخطاب يكون بتجديد البلاغة العربية والتي بدورها محور قضية الإعجاز القرآني، في سبيل خلق أساليب جديدة للخطاب تجمع بين الاستخدامين السابقين له، كما يوصى البحث بعمل العديد من الأبحاث والدراسات حول هذه العلاقة بين البلاغة والفلسفة من أجل تجديد مستنير للخطاب الديني.

الكلمات المفتاحية: أمين الخولى، الفلسفة، البلاغة، الخطاب الدينى

مقدمة:

يعد الخطاب الديني من أرقى أنواع الخطابات في حياة البشرية وأسرعها ولوجًا إلى نفسية وذهنية المتلقي لما في الخطاب الديني من سمو للنفس واستقامتها، وباحتوائه على المبدأ الأخلاقي في الحياة،ولهذه الخاصية يجد هذا النوع من الخطاب تأثيره الكبير على المتلقي لما له من رهبة قدسية.. والخطابة بشكل عام، تكتسب أهمية كبيرة عند الإنسان، فهي تحمل من الطابع التواصلي ما يجعلها وسيلة من أنجح الوسائل التبليغية الفذة إضافة إلى أنها من الصناعات الكلامية التي اهتم بها العلماء والأدباء والفلاسفة والمناطقة على السواء فشكلت منذ القديم اتجاهًا يجمع الآراء والأفكار؛ لسبر غورها، واستكشاف معطياتها، والوقوف على تقنياتها المنطقية واللسانية والأدبية، وقد التفت الفلاسفة الإغريق بدءاً من السوفسطائيين، ومرورًا بأفلاطون، ووقوفًا على تنظيرات أرسطو، وما بعده؛ وعدت الخطابة من الصناعات التي أثارت الجدل والنقاش في أوساط هذا المجتمع الإغريقي، فأصبحت حاملة لألوان البرهان والحوار وجميع أصول الحجاج بغرض الإقناع و التأثير.

وقد اجتذبت الخطابة العرب أيضًا للبحث في هذا النمط التواصلي، فنطقت دراساتهم بتمكنهم من الوقوف على أسرارها البنائية، وأساليبها الإقناعية، وارتباطها بالإعجازالقرآني، ومقاصدها اللغوية الحوارية والفلسفية، والمنطقية، حيث تنتفع من كل وسائل الإثارة والإقناع والتحاور، باعتبارها وسيلة مهمة من وسائل إيصال الأفكار، وبلوغ المآرب الدينية والسياسية والاجتماعية والإنسانية والأدبية.

ويُعد مشروع الأستاذ الشيخ أمين الخولي لتطوير الخطاب الديني؛ من المشاريع المختلفة والمؤثرة لتمحورها حول الأبعاد النفسية للمعنى البلاغي الصحيح، منطلقا من مضامين البلاغة القديمة، التي غلب عليها الجانب العقلي، كالمنطق والفلسفة وباتت غير مناسبة لروح العصر ومتغيراته، فأهتم مشروعه ببلورة بلاغة فنية جمالية حديثة؛ يشترك فيها المتكلم والمخاطب على السواء، تراعى الجانب النفسي وقوامها التأثير والتأثر.

إشكاليَّة البحث :

إلى أي مدى ارتبطت البلاغة العربية - باعتبارها سلاح الدعوة الإسلامية، لما لها من القدرة على إظهار الإعجاز القرآني - لب الخطاب الديني – بالفلسفة والمنطق واللغة عند أمين الخولي وإلى إي مدى تأثرت بهم. وتتضمن الإشكالية عدة تساؤلات على النحو التالي:

- ما هو مفهوم الخطاب الديني وأهميته؟
- كيف استحالة البلاغة العربية إلى فن القول عند أمين الخولي؟
- إلى أى مدى تطورت أساليب الخطاب الديني وتداخلت مع نظريات الخطابة الحديثة؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من أنه يناقش موضوع أساليب الخطاب الديني، ودور الفلسفة واللغة والمنطق في تمكين الخطاب من الحوار الجيد المقنع ، المُأثر في المتلقي . وهو ما يستدعى ابتكار وسائل جديدة تواكب تغير واقع الناس وأحوالهم، وأساليب مختلفة؛ ترقى إلى إيصال مكونات ومضامين الخطاب الرشيد إليهم.

أهداف البحث :

١- إبراز أهمية الخطابات الدينيَّة ، وآثارها على الفرد، والمجتمع .
٢- معرفة قيمة الحكمة، والذوق - عند أمين الخولي- وأهميتهما؛ للخروج من الأيديولوجيَّات الدينية السالبة.
٣- توضيح وسائل إصلاح الخطاب الدينيِّ السليم للعمل على نهضة الأمة العربيَّة.

منهج البحث: التحليلي والنقدي

محاور البحث : يتضمن البحث ثلاثة مباحث:
المبحث الأول : مفهوم الخطاب الديني وأهميته.
المبحث الثاني: الخطاب بين الفلسفة والفن القولي عند أمين الخولي.
المبحث الثالث : أساليب الخطاب الديني عند أمين الخولي.

وأخيرًا الخاتمة : وتحتوي على أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب وأهميته:

الخطاب في اللغة : "مصدر خاطب، يخاطب، خطاباً ومخاطبة، ويعني : الكلام بين اثنين" (ابن فارس، ١٩٧٩م، ص١٩٨)، وقد توسع مدلول الخطاب في عرف الناس، فأصبح يشمل كل كلام يوجه صاحبه نحو غيره سواء أكان شفهيا أو مكتوباً، فأصبحوا يسمون الكتاب الموجه لشخص أو جهة خطاب؛ لقيامه مقام الكلام الموجه نحو الغير، مع أن اللغة تفرق بين المعنيين.
تعريف الخطاب اصطلاحاً: "هو كل نطق أوكتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب وتفترض فيه التأثيرعلى السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها"(الطيار،٢٠٠٥م، ص١٢). والخطاب كل ما يكلم به الرجل صاحبه (وجدى،١٩٧١م، ص٧٠٧)، وهو كذلك ترجمة الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام (البستانى،١٩٩٨م، ص٤٠٧) ، كذلك يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تنبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور المخاطب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزائه" (يونس،٢٠٠٤،ص٣٠).. ووصف الخطاب بالديني نسبة إلى الدين، والدين في اللغة الجزاء والمكافئة، يقال دنته بفعله، أي جزيته ويوم الدين : يوم الجزاء، ومنه قوله تعالى: " أَئِنَّا لَمَدِينُونَ "(الصافات، ٥٣) أي محاسبون مجزيون . ويطلق بمعنى الطاعة، يقال: دنت له أي أطعته، وجمعه أديان (ابن منظور،٢٠١٠،ص١٦٩م)؛ وهذه المعاني ترجع إلى أصل واحد وهو جنس الانقياد والذل (ابن فارس،١٩٧٩م،ص ص٣١٩-٣٢٠) وسميت الأديان السماوية دينًا لأنها تجعل أهلها مطيعين وخاضعين لتعليمها وأحكامها، وتحملهم على أن يتخذوا أحكامها لهم يلتزمون بها .
*** وعلى هذا يكون الخطاب الديني في الاصطلاح:** "هو **الكلام** الذي يعبر عن **فكرة** معينة تداول حول أصل من أصول الدين أو فرع من فروعه.. ويقصد بالكلام؛ الكلام العربي أو غير العربي من اللغات المختلفة.. أما الفكرة: فهي المعنى المراد من الكلام التي يريد الخطيب أن يوصلها للمستهدفين.. وأما أصل الدين: فهو ما قام عليه الدين من الأركان؛ كالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، أو أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .. وأما الفروع: فمثل الآداب العامة والأخلاق وغيرها من المسائل التي يتحدث عنها العلماء في أبواب الآداب والأخلاق (الجهينى، ٢٠٢٠، ص ص ٤٧-٥٦) .

ولم يُعرف هذا الاصطلاح – تجديد الخطاب الديني- من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلح له وضعا شرعيا في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج....

إلخ، وعلى الرغم من ذلك فإن حجة الإسلام " أبو حامد الغزالي"[1] جعل التجديد يأخذ موقعه في التراث الإسلامي تحت ما يسمى بالإحياء؛ في مؤلفة الشهير(إحياء علوم الدين)، والذى يعد مشروعا فكريا متكاملا، فيه يوضح الإمام الغزالي أنه همّا بهذا الإحياء لعلوم الدين بعدما رأى أن علم طريق الآخرة، أصبح بين الخلق مطويا منسيًا، حيث يقول: " ولما كان هذا ثلماً في الدين مِلمًا، وخطبًا مدلهمًا.. رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً، إحياء علوم الدين، وكشفًا عن مناهج الأئمة المتقدمين، إيضاحا لما هى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين، سلام الله عليهم أجمعين" (الغزالى،٢٠١١، ص٩)، وعلى نفس الطريق صار الشيخ أمين الخولي عندما رأى أن المجتمع الأسلامي في حاجة ماسة إلى تجديد الفكر الديني وخطابه في مختلف نواحيه وعلومه؛ فوضع كتابه "المجددون في الإسلام" على أساس أنه تمهيد أو طليعة لمشروعه التجديدي، فيقول: " بذلك يكون كتاب المجددون في الإسلام طليعة لكتاب آخر هو تجديد الدين فهو يطرق بين يديه، ويمهد، ويعد النفوس، ويذلل العقبات إن شاء الله"(الخولى،٢٠٠٣، ص١٣).

ونظرا لما يطرأ على الأمة من تغيرات وتقلبات عبر العصور المختلفة، ومن منطق صلاح الأمة وجه الشيخ أمين الخولي عنايته للوقوف على مفهوم تجديد الخطاب لما له من تأثير على أذهان الناس فأخذ على عاتقه رسم الطريق الذي ينبغي على الأمة إتباعه من أجل التجديد النافع ؛ بداية من طريقة العرض للخطاب وصولا إلى منهج الخطيب الواجب الالتزام به من أجل البعد عما يدرأ على المجتمع من مفاسد، حيث يقول عن التجديد الديني إنه "العمل الدائم للواعين، الحارسين لكيان الجماعة، من أن تشيع فيها ضلالة مفسدة، أو مهلكة ضارة" (الخولى،٢٠٠٣،ص٢٠)، وفي مفتتح كتابه " فن القول" يستعمل الخولي تشبيهًا تمثيليًا يتناص مع حديث النبي محمد (ص): " كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"(العسقلانى،١٩٦٠م،ص١٥)، وهو حديث واسع التداول في الخطاب الإسلامي اليومي، حيث يقول:" فن القول: كلمتان خفيفتان على اللسان، فعولان في الوجدان" (الخولى،١٩٩٦، ص٧) ؛ وهو هنا يشير إلى أهمية طريقة العرض للمسائل الدينية في الخطاب الديني، ويؤكد أمين الخولي أن النصوص الشرعية تؤكد على منفعة الخطابة وتشرعها لما فيها من مصلحة الفرد والمجتمع، وأنه لا يجب أن ينفصل عن الحياة والإنسان، وهذه هي الفرضية التي انطلق منها أستاذه الإمام محمد عبده من قبل، حيث يوضح عبده أن "الأحكام العملية التي جرى الاصطلاح على تسميتها فقها، هي أقل ما جاء في القرآن، وأن فيه من التهذيب ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها الكثير" (عبده،١٣٤٥هـ، ص١٠)، فلم يغفل الإمام ومن بعده الخولي عن ماهية القرآن، باعتباره كتاب عقيدة ودين، غايته أن "يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء ذلك من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله"(عبده،١٣٤٥هـ، ص١٩)، ويؤكد الخولي هذا عندما يؤول كل غرض يسعى من أجله التجديد؛ إلى ما في القرآن من هدى ورحمة للانسان: "ليتحقق فيه معنى قوله هدى ورحمة"(الخولى، ١٩٩٦م، ص١٢).

وينحصر الخطاب الديني في فهم الفقيه للإنسان والصيغة المعينة التي يعبر بها عن الإسلام بناء على فهمه، ويشير إلى هذا الخولي عندما يوضح أن الخطيب الذي يفسر النص يؤثر زوقه وفهمه العقلي وحالة النفسية على تفسيره وطريقة العرض؛ حيث يقول " إن الشخص الذي يفسر نصا، يلون هذا النص بتفسيره له وفهمه إياه، إذ إن المتفهم لعبارة هو الذي يحدد بشخصيته المستوى الفكري لها. وهو الذى يعين الأفق العقلي، الذي يمتد إليه معناها ومرماها.. يفعل ذلك كله، وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي لأنه لا يستطيع أن يعدو ذلك من شخصيته، ولا تمكنه مجاوزته أبدا.. فلن يفهم من النص إلا ما يرتقي إليه فكره ويمتد إليه عقله، وبمقدار هذا يحتكم في النص ويحدد بيانه"(الخولى،٢٠١٧م،ص٢٢٦)، وينطوي

[1]- الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م) (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الاسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان (رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) (أو إلى غزالة من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. الزركلى، ٢٠٠٢، ج٧، ص ٢٢.

مصطلح الخطاب الديني على العديد من التنوعات، منها: "خطاب ديني مغلق"؛ وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر. و "خطاب ديني مفتوح"؛ وله عدة مستويات قد يكون في إطاره إبداء القيادة الدينية في أسئلة تتعلق بقضايا شخصية توجه إليه، وهو يختلف عن "الخطاب الشرعي"؛ خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتداء أو التخيير أو الوضع (الرازى،١٩٩٧، ص١٠٧). ولذلك يغفل بعض المثقفين الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني فيخلط بين المصطلحين .

المبحث الثاني: الخطاب بين الفلسفة والفن القولي عند أمين الخولي

لما كانت البلاغة العربية من أكثر المؤسسات الثقافية صلابة، واستنادا إلى الأيديولوجيا الدينية، فقد انطلق أمين الخولي من عرض تاريخ هذا التلازم، فبين كيفية نشأت البلاغة العربية؛ وأثر الفلسفة عليها، وعلاقتها بعلم النفس، لتعزيز مفهوم الإعجاز القرآني، ثم رصد مظاهر تحولاتها لدراسة صنوف الخطاب الآدبي والديني، إبان ازدهار الثقافة العربية الإسلامية وتداخلها مع المعارف المنطقية والفلسفية الأرسطية، بدعوته إلى ربط " فن القول" بالحياة وتنمية الهدف الديني الذي لم يعد واردا في استراتيجيات الفكر المعاصر قائلاً قولته الشجاعة " تخليص الحياة من الموجهات اللهوتية"(الخولى،١٩٩٦،ص١٢).

ولعل الخولي اختار لفظة الفن وأضافها إلى القول في تجديده للبلاغة العربية ومنها إلى تجديد الخطاب، على اعتبار أن الفن له رسالة قوية متعلقة برقي الحياة وصناعة تقدم الإنسان دون تبعية لما عداه، وعندئذ يتسنى لنا أن نفهم الفن: " باعتباره محصلة الخبرة الجمالية والإبداعية والتذوقية في الآن ذاته، فلا يصبح بديلا للعلم، بل موضوعا معقدًا وخصبًا لدراسته وبحثه"(الخولى،١٩٩٦،ص١٣). على هذا تكون البلاغة كما يرسمها "فن القول" في آفاقها النفسية والإقليمية، هي: "الأداة الفعالة في تربية الذوق"(العلائى،١٩٩٦،ص٣٨)، وهنا ينحى الخولي منحى " عبد القاهر الجرجاني" الذى يقول في كتابيه (الدلائل والأسرار) إن " البلاغة فن، ويرتد إلى الفنية في نهايته" (الجرجانى،١٩٩١، ص ٨-٩).
لكن هذا لا يعنى أن أمين الخولي يدعونا إلى انطباعية مفهوم "التذوق الفني"؛ فمفهوم التذوق الفني لديه يقابل الشكلية المنطقية التي انتهت إليها أمر البلاغة، ولعله يعارض نزوعًا معاصرًا يحاول مقاربة الإنسانيات بمنطق التجريبيات؛ ولذا فقد عمد الخولي – في خطته – إلى استبدال "فن القول" بالبلاغة، بالتأكيد على كلمة فن، التي تباعد بين البلاغة والعلمية، بقدر ما تقارب بينها وبين الإنسان .. كان الخولي يبحث في وحدة الظاهرة الجمالية، وأثر التشكيل الجمالي على المتلقي، وهذا ما ضيعته الشكلية على البلاغة ، حين قسمت القول إلى أجزاء ، ولم تُعن بما يكفي بإظهار العلاقة بين القول وطرائق تشكيله، وتأثيره على المتلقي، فضلا عن المتكلم (عيد،٢٠١٨، ص٤٠٨).
هذه الشكلية ملمح من ملامح تأثير الفلسفة على البلاغة، حيث يقول الخولي: " قد جارت تلك النزعة الفلسفية على الناحية الأدبية جورا تجسه حين نراهم في المواطن الأدبية الحقيقية يدمجون القول ويجملون. إن لم يفسدوا المعنى الأدبي ويشتطوا في البعد عنه" (الخولى،٢٠١٧، ص١١٣)، وفي هذا الصدد ينتقد شرح السعد التفتازاني في توقفه إزاء حذف المفعول في قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (الضحى، ٣) بأنه رعاية للفاصلة في (سجا). ورعاية الفاصلة نظر شكلي خالص، وإذا كان ذلك معتبرا في ضرائر الشعر فلا يجب أن يكون كذلك في النثر المعجز، وأن صح هذا فمن المحال أن يكون كذلك مع القرآن الكريم؛ وهذا الحذف لا يؤثر على المعنى مطلقا، وإنما هى زاوية شكلية (الخولى، ١٩٩٦م، ص ١٣٤).
يبدو التذوق إذن معادلا للفهم، بما هو عملية تفاعلية بين القارئ والمقروء، وبما هو عملية ضد الشكلية والتجزيئية، ويشير الخولي إلى أن هذا الفهم يحتاج بطبيعة الحال إلى خبرة وثقافة ، فيصفه بـ "الذوق المثقف"(الخولى،١٩٩٦م، ص٢٦٩).
وبذلك يتفاوت هذا "الذوق" بتفاوت القراء واختلافهم، ولكن هذا الاختلاف محكوم باللغة ومشدود إليها، ومتصل بالنفس الإنسانية وما انتهت إليه الدراسات حولها؛ فالفهم ليس عملية ذاتية فردية خالصة، وليس عملية لغوية خالصة أيضًا، الفهم هنا هو هذا اللقاء الذي يجمع بين اللغة والنص والمتلقي في كل

جامع. يتفق هنا الخولى مع " أرسطو" الذى أقام خطابته على ثلاثة أصول متفاوتة الأهمية في اضلاعها بغايات القول الخطابى ومقاصدة، وهى: "المنطق والنفس واللغة"[1]، ولم يصل أرسطو إلى حد تذويب الخطابة كليا في المنطق، فإنه أراد أن يجمع أو يوازن بين الإقناع (الجدل أو الفكر) والتأثير (النفس والأخلاق واللغة)، فهذا التوازن "يمثل المبدأ الأساس الأول في نظرية الحجاج الخطبى عند أرسطو وعليه قام معمار كتابه الخطابة (الريفى، ١٩٩٨، ص١٨).

يتضح هذا أيضًا في حديث الخولي عن الفلسفة؛ وأعماله بنصيحة سقراط لطلبته مهيبا بهم: "حددوا الألفاظ التي تستعملونها"، فيُعرّف الخولي الفلسفة على أنها "البحث الحر العميق"، والإنسان: في نظره "هو سيد الكون وهو المتلقي المنقب عن المعرفة" (الخولى،٢٠١٧م،ص١٠٩)؛ ومن هنا يُعرّف البلاغة وعلاقتها الوثيقة بالفلسفة، فيقول: " وأما البلاغة فما هي – بإيجاز- إلا درس فن القول، والبحث عن الجمال فيه، كيف، وبما يكون؟. تلك هي الفلسفة والبلاغة بتحديد قصير. وفيه نتبين صلتهما المتينة، والعلاقة الثابتة بين حقيقتيهما. إذ كان الجمال كما نرى موضع عناية لهما كليهما، تحاول الفلسفة في بحثها عن الجمال أن تتعرف ما هو؟ وكيف يحسه الإنسان، يقع من نفسه، وأي طرق أداء الإنسان لهذا الشعور بالجمال أدق؟ وكيف يترجم عن إحساسه به؟... كما أن البلاغة هي درس فن الترجمة عن الإحساس بواسطة القول، وبحث في جمال الكلام"(الخولى،٢٠١٧م،ص١١٠).

وفي هذا الإطار يشير الخولي إلي مدى تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من منطق وكلام؛ وكيف أنه قويا بعيد المدى، حيث يقول:" ولو أمعنا النظر ومضينا في التقصي لوجدنا تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من المنطق والكلام قويا بعيد المدى في نواحى متعددة: قويا باديا في نشأة البلاغة وظهورها. ثم قويا في تطورها وسير دراستها. وأيضا قويا في ضبط أبحاثها وتحديد دائرة دراسها. وأخيرًا قويا في تعيين غرضها وغايتها" (الخولى،٢٠١٧م،ص١١٣).

ومن ناحية الغرض والغاية نجد هناك جهتين في تأثير الفلسفة على البلاغة؛ أولهما- كما يقول الخولي- جهة منطقية أو فلسفية عامة، والثانية: جهة كلامية أو فلسفية إسلامية خاصة.. ويخص بالجهة المنطقية " منطق أرسطو" وخاصَّة في كتاب "الخطابة" (الخولى،٢٠١٧م،صص١١٤-١١٥) .. وفي أبحاثه في الأسلوب حتى التي لم يحتفظ "التلخيص العربي"[2] لـ"إبن سينا"[3] بالكثير منها مع أهميتها الكبرى، على اعتبار أن أرسطو قد بين فيها الأسلوب، وقيمته، ووضوحه، وصفاته الخاصة، والشروط العامة للأسلوب، وفتور الأسلوب وسلامته، وشروط ذلك، وشرح ثراء الأسلوب الكتابي والأسلوب الخطابي، والأسلوب الشعرى، والأسلوب النثري، كما تحث عن اختلاف الأسلوب باختلاف الموضوعات (الخولى،١٩٣١م).

---

[1]- قد باشر أرسطو هذه المسأله في الفصل الأول من القسم الأول من "الخطابة"، كما أنه فصل الحديث في طبيعة القياس الخطابى: أشكاله وأنواعه وموارده في الفصل الثانى من القسم الأول وفي الفصول السبعة الأخيرة من القسم الثانى، وفي بعض فصول القسم الثالث الأخير؛ وهى الفصول الخاصة بأجزاء القول الخطابى وترتيبها، وفيها يعارض أرسطو" افلاطون" الذى لا ينظر إلى هذه العلاقة جاعلا الخطابة جدلا، حيث ان الخطابة الجيدة لدية هى الخطابة الجدلية أو الفلسفية وموضوعها الحقيقة، وما سواها من خطابات المعلمين والسفسطائين فهى خطابة فاسدة، وخطابة حدث وموضوعها الاحتمال والإبهام.Barthes,No 16,seuil,1970

[2]- هو تلخيص ما وجد من كتاب الشعر ضمن ما لخص ابن سينا من فلسفة أرسطو في كتاب الشفاء، وذلك في النسخة الخطية الوحيدة في دار الكتب المصرية، والمحفوظة تحت رقم ٢٦٢ حكمة وفلسفة.

[3]- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م)، شرف الملك :الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والآلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها . قال ابن قيم الجوزية : كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين. وقال ابن تيمية: تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع. الزركلى، ٢٠٠٢، ج٢، ص٢٤١.

وتجدر الإشارة إلى أن "ابن الأثير" [1] يوضح في أول كلامه في الصناعة المعنوية؛ أن أول من تكلم في الخطابة هم حكماء اليونان، فيقول:" إن المعانى الخطابية قد حصرت أصولها وأن أول من تكلم في ذلك حكماء اليونان" (ابن الأثير، ١٩٣٩، ص١٨٦). مما يدلل على مدى تأثر البلاغة بالفلسفة وخاصة اليونانية منها، وهو ما يؤكده الخولي ويوضح أن هذا التأثر قد جاوز أيضا الشعر والكتابة ذاتهما (الخولى، ٢٠١٧، ص١١٩).

وهذا شيخ البلاغيين – كما يصفهوا الخولي- عبد القاهر الجرجاني يؤكد على هذا الدرس المنطقي للخطابة والشعر في فنون البلاغة، حين يتكلم عن المجاز وبيان معناه وحقيقته، وبيان المنقول والمشترك والمجاز المرسل وعلاقته، حيث يقول: "إن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة. وذلك أنا نرى كلام العارفين بهذا الشأن، أعني علم الخطابة ونقد الشعر، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع يجرى على أن الاستعارة نقل الاسم عن أصله الى غيره للتشبيه على حد المبالغة" (الجرجانى،١٣١٩هـ، ص٣٢٦).

أما عن تأثير الفلسفة الكلامية في ظهور البلاغة، نجد أنها قضية صريحة حدث عنها المتقدمون، فيشير "الجاحظ" كيف أن هذا التأثير كان منذ عهد قديم مبكر يعود إلى القرن الثاني الهجري، فيقول: "إن عمرو بن عبيد الزاهد المعتزلي الكبير المتوفى قبل انتصاف القرن الثاني الهجري قد سُئل عن البلاغة فقال: هي من بلغ بك الجنة، وعدل بك النار، وما بصرك مواقع رشدك، وعواقب غيك، فقال السائل: ليس هذا ما أريد. ثم ما زال يقول ابن عبيد هي كذا وكذا، وهكذا حتى أستقر على تحديد المعنى بقوله:" إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفى الشواغل عن قلوبهم، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على الله جزيل الثواب" (الجاحظ،١٩٢٧، صص ٩٠-٩١).

ونستطيع أن نستشف مما سبق كيف أن الخولي يسعى إلى إخراج البلاغة من حالتها الشكلية إلى رحاب أوسع؛ وهو رحاب " الذوق الفني" ؛ حيث يمثل هذا الذوق النقطة الأساسية التي يلتقي فيها الفلسفة والمنطق والكلام بالبلاغة التي هي فصل الخطاب. يفطُن هنا أمين الخولي لطريق الدعوة الصحيح والخطاب الديني الهادف من خلال الإعجاز العلمي الموجود في القرآن الكريم كما جاء في الآية الكريمة: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (النحل :١٢٥) ليوجه خطباء الأمة للإعجاز العلمي في هذه الآية بما تحمله من أساليب للخطاب الديني لتبليغ الدعوة .

وحسب الأستاذ الخولي كانت نقطة البداية هى تفكيك العلاقة بين البلاغة والدرس الكلامي الذي انحصر في بحث قضية الإعجاز؛ فالبحث في الإعجاز سبيل عقَدِي، والتدليل عليه باصطناع أشكال من الحجج العقلية قد يكون مطلوبًا في سياق مقارعة المشككين، ولكنه لا يلائم الدرس البلاغي الذي يتسع ليستوعب رحابة الحياة، ويتطور بتطورها؛ فـ "غايات البلاغة اليوم لا تلتمس لغيرها من أغراض أخرى وراءها، دينية كانت أو سواها ، بل تلتمس وفاءً بحق الحياة التي يحياها الفرد والجماعة، وسعيًا إلى ترقية مستوى هذه الحياة وإفساح آفاقها المعنوية"(الخولى، ١٩٩٦م،ص٢٠٧).

[1]- هو ضياء الدين أبو الفتح بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) القاضي الرئيس العلامة البارع، الكاتب ابن الأثير صاحب "جامع الأصول " و " غريب الحديث " وغير ذلك، كان وزير من العلماء الكتاب المترسلين. كان مولده بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها ، ثم تحول إلى الموصل طلب العلم والتفقه على كبار علمائها، فحفظ القرآن، وسمع الحديث، وأقبل على العربية واللغات والشعر حتى برع في الأدبيات. الذهبى، ١٩٨٥، ص٤٨٩.

والحقيقة أن هذه واحدة من ملاحظات الخولي المهمة، خصوصًا بعد أن أصبحت البلاغة مشدودة إلى هذه الدائرة، بل غدت معرفة وجوه الإعجاز القرآني حدّا تُحدّ به البلاغة لدى أكثر من بلاغي متأخر[١]. ولا يعنى هذا بأي حال أنه يرى عدم وجود علاقة بين البلاغتين القرآنية والأدبية؛ وإنما يرى أن البلاغة فن يجب أن يتسع ليقارب أشكال القول وأجناسها المختلفة ، قديمها وما استجد منها، وما يمتاز به كل جنس قولي عما سواه (عيد، ٢٠١٨، ص٤٠٧).

وبناءً على ذلك لن تتأسس محاولة الخولي على نقد البلاغة الشكلية واستبعادها فحسب؛ وإنما سيقوم في الوقت نفسه بتمييز التراث البلاغي الشكلي عن التراث البلاغي الأدبي، والعمل على تطوير الأخير؛ ليكشف النقاب عن إرث بلاغي نفيس، يجب تأويله والبناء عليه، بما يمكننا من تقديم قراءات نافذة لجماليات النصوص، واستيعاب ما يستجد من أشكال القول وأجناسه، مستخدمًا الخولي أداته : التخلية ثم التحلية. ويقصد بـ "التخلية تخليص البلاغة من الجمود والجفاف والذبول.. أما التحلية فبأخذ بأسباب الحُسن، ووسائل التأثير، وزيادة ما يجب زيادته" (الخولى، ١٩٩٦، ص٢٢٧).

المبحث الثالث: أساليب الخطاب عند أمين الخولى

إذا كانت البلاغة في نهج التجديد قد تخلت عن التقسيمات الشكلية والجزئية، وتجاوزت الجملة إلي الخطاب، وإذا كان القرآن خطابًا سماويًا أعجز العرب واستمالهم إليه، فآمنوا به وصدقوا رسوله، فهذا يعنى أن البلاغة تحاول دائمًا الإجابة عن سؤال التفسير المرتبط في كل حال بالإعجاز القرآني . من أجل هذا ينتهي الخولي إلى وصل البلاغة بعلم النفس، باعتبار الخطاب – كل خطاب- يتجه إلى مخاطب ما. ومن ثم، فمن المهم أن نبحث في تلك الاستراتيجيات التي يصطنعها الخطاب للتأثير في المتلقي، وجذبه إلى فضاء النص... ومن هذا المدخل تحديداً تمكن الخولي من تقديم اجتهاده حول مفهوم الإعجاز النفسي، بوصفه فضاء تخاطبيا حجاجي، حيث يقول: "إن هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز، ثم من حيث هو هدى وبيان ديني، لن يدار الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية، ورياضتها لأن الفن هو: نجوى الوجدان، والدين هو: حديث الاعتقاد وخطاب القلوب، فصلته بالنفس، ومناجاته للروح، أوضح من أن يستدل لها أو تخص بالشرح، وفيما مضي من رأي- قديم أو حديث- عن أثره في النفوس وحظوته لديها، أقرب شاهد، وأدناه" (الخولى، ٢٠١٧، ص١٥٤).

يقدم الخولي منهاجية تعتبر البلاغة "علما كليا"، وعلى الرغم من أنه لم يغادر الخطاب الجمالي إلى غيره من الخطابات، إلا أنه توسع في دمج الخطابين: النقدي والبلاغي، وجعل البلاغة معنية بالبحث في تماسك النصوص وانسجامها، وكيفية بنائها، وبالإضافة إلى قدرتها على تمييز كل جنس، وتحديد خصائصه؛ وهذه قضايا نقدية وبلاغية، تمهد إلى إمبراطورية البلاغة التي ستعرفها الدراسات النقدية فيما بعد، حين تتحدث عن البلاغة الجديدة بتياراتها الثلاثة: **"البرهاني، والبنيوية العامة، والتحليل التداولي[٢] للخطاب"**(فضل، ١٩٩٢).

وفي نفس الصدد يلتقي الخولي بالغزالي في تقسيمه للخطاب الديني الذي ميزه في ثلاثة أشكال **"**القول البرهاني والقول الخطابي والقول الجدلي، وذلك حسب التصنيف الذي أورده الغزالي والذي استقاه حسب قوله من القرآن الكريم " (الغزالى، ٢٠٠٧، ص٤٠)، وعن هذه الأقول الثلاثة وتوجيهها، يقول الغزالي:" إن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، والمجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن

[١] - يرى العلوى (مؤلف كتاب "الطراز") أن البلاغة هى: "علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز، لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الاعجاز، وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه". العلوى، ١٩١٤، ج١، ص١٣.

[٢]- تعرف التداولية بأنها علاقة المتكلمين بالسياق، أو تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها، فيشير فرانسيس جاك إلى أن التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً. أرمينيكو، المقاربة التداولية، ١٩٨٧، ص١٢

الآدامى، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر" (الغزالى، ٢٠٠٧، ص٤٢). يوضح الغزالى هنا كيف أن لكل قول، قوما يستحسنه ويتقبلونه أو يرفضونه، وذلك حسب غاية كل قول وطريقة العرض لمن يوجه لهم بطرقتهم التى يفهمونها ويعتادون عليها، وهو ما نجده تماما عند الخولي؛ في ربط الخطاب القرآنى بعلم النفس، فلابد من أن يراعى الخطاب ، الوضع النفسى للمتلقى، وأي طريقة أمثل لإقناعه، فيقول: " ماذا أستخدم من قوانين نفسية في هذه المطالب الوجدانية، والمرامى القلبية، وماذا أجدت رعاية ذلك في انجاح الدعوة واعلاء الكلمة وتقرير الإعجاز". ومن ثم لابد من وجود "تفسير نفسي للقرآن" يقوم على الإحاطة المستطاعة، بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوى القرآن الدينية، وجدله الاعتقادي، ورياضته للوجدانات والقلوب، حيث يوضح: " نحن أحوج إلى هذا التفسير النفسي للقرآن، ولو لم ننته إلى اتخاذ الطريق النفسي في فهم الإعجاز، ومحاولة دركه، لأن هذا الفن القرآني، وهذا الموضوع الاعتقادي، جانبان من جوانب الحياة الوجدانية، لا يفهم وجه القول فيهما إلا على نور الخبرة بالوجدان، وحياة الإنسان القلبية العاطفية، وما ينتبه إليه في تلك الناحية يكون أعود على فهم الأغراض القرآنية من أي جهد آخر في غير هذا الاتجاه" (الخولى، ٢٠١٧، ص١٦٠).

- **وهو ما يقودنا أيضًا إلى أساليب الخطاب التي ساقها أمين الخولي، وفصلها في:**

١-الأسلوب البرهاني: وهو متضمن في الحكمة، وهي " صناعة نظر يستفيد منها الإنسان، تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما الواجب عليه مما ينبغي أن يكتسب فعله، لتشرف بذلك نفسه وتستكمل، وتصير عالما معقولا" (الخولى، ١٩٣٤، ص٥)، كما أنها " شمولية وكلية يرجوها كل طالب الكمال" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٥، ص٣٢٥)، والحكمة لا تأتي بأي صورة سوى أنها حسنة لشمولها على الأخلاق المتمثلة في "الحق والخير والفضيلة" والتي بدورها تعصم النفس من الخطأ، كما يقول أمين الخولي: " أما البحث عن الخير أو الحق أو الأدب الخلقي، أو الفضيلة، فهو بحث "الأخلاق" الذي تتبين طريق الإرادة الطيبة في الحياة وتعصمها عن الخطأ العملي، كما يعصم المنطق الذهني عن الخطأ النظري"، كما أنها تبحث عن الحسن والجميل الذي يعصم العاطفة الإنسانية عن الخطأ، حيث يقول الخولي أيضًا: " والبحث عن الحسن أو الجميل.. الذي يبين طريق الاجادة والإتقان ويعصم العاطفة الإنسانية عن الخطأ الفني" (الخولى، ١٩٣٤، ص٢٤). ويشير أيضًا إلى هذا المعنى إبن عاشور في قوله: " وأما الحكمة فهي تعليم لمتطلب الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه، فلا تكون إلا في حالة حسنة، فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة " (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٥، ص٣٢٥).

ولا شك في أن الأسلوب البرهاني لشموله على الحكمة بما تحتويه من حجج وأدلة، يعد فصل الخطاب والكلمة النهائية بما تحمله من استدلالات عقلية لا مجال فيها للاحتمال، ويوضح هذا الخولي في قوله: "هو البحث عن الحق أو الصواب، وهو بحث - المنطق – الذي يهدى العقل البشري للوصول إلى نتائج صحيحة، ويعصمه عن الخطأ في تفكيره" (الخولى، ١٩٣٤، ص٢٤)، وبذلك تضم أيضًا أوجه الإقناع إذا نظرنا لغاياتها المرجوة، فهي المعرفة المحكمة الصائبة المجردة عن الخطأ، فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم، ولذلك عرّف الحكمة بأنها " معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية "، ويشير الشيخ الخولي إلى أن هذا التعريف استقاه من السيد الجرجاني، كما نجده أيضا عند ابن عاشور على حسب قوله في تعريفه للحكمة بأنها " معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية" (الخولى، ١٩٣٤، ص٦، ص ٣٢٦).

وفي نفس الصدد نجد " بيريلمان " يرى أن هدف نظرية البرهان "mentation Argu " هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته، ومن الصواب المنهجي عدم الخلط بمظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة، والمظاهر التي تشير

إلى هذا التأييد: إذ ينبغي دراسة كل منهما على حدة، مع الاحتفاظ بإمكانية بحث جوانب تداخلهما أو حتى تطابقهما فيما بعد (فضل، ١٩٩٢، ص٦٧).

٢- الأسلوب الخطابي : وهو الأسلوب الحسن الذي يشمل صورا بلاغية وبيانية تلين من قلب السامع؛ لشموله على نصائح وعظات من شأنها تليين ما في الصدور من غلظة وقسوة. وقد تضمن هذا الأسلوب الموعظة الحسنة؛ فلكي يصل الخطيب إلى قلب الناس لا بد له من الكلام الحسن غير الغليظ، وألا أعرض الناس عنه، وهو ما يلخصه الخولي في طريقة الأدباء، التى تعتد بالأثر الجمالي للقول الجميل على المتلقي، تحتكم إلى الخبرة الجمالية، أو إلى ما يسميه الخولي بـ "الذوق الفني": الذي تراكم لدى الدارسين بفعل الخبرة الجمالية، ويتسع هذا الذوق ليضم أفكارًا من قبيل الثقافة الفنية، واستيعاب نماذجها التي حظيت بالقبول. وهو ما يحيلنا في النهاية إلى القدرة على إنشاء القول الجميل ، وتمييزه مما سواء (الخولى، ٢٠١٧، ص١٢٢). ولنا أن نعدّ كتاب "الصناعتين" لأبى هلال مثالاً على ذلك؛ فهو يقدم لنا في المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن، والحديث، وكلام العرب، شعرًا ونثرًا ، ولا يحتكم لشيء غير ذوقه واستحسانه.

ويُدخل هذا المعنى في إطار الموعظة، والتي قيدها الله (سبحانه وتعالى) بالحسنة، في الآية الكريمة: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(النحل، الآية ١٢٥)، فالموعظة من شأنها أن تلين القلوب وتذرف الدمع. ويوجه أمين الخولي نظر فقهاء الأمة والقائمين على الخطاب الديني بأن الموعظة قد تأتي بأسلوب غير مباشر للنصح والإرشاد بطريقة غير مباشرة، وهي الطريقة التي يحث عليها علماء النفس المعاصرين، وهذا ما نجده من خلال ضرب الأمثال، كما يشير النص القرآني بقوله تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَا السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }(الرعد، الآيه ١٧) .

ولا شك في أن أمين الخولي هنا معنى بقدرة الخطاب القرآني على التأثير في المتلقي، وهذا ما أسماه بـ**"الإعجاز النفسي"**، حيث يوضح في حديثه عن القرآن "فالنظر الصائب إليه، والفهم الصحيح له، أو بعبارة أكثر صراحة، تفسيره، لا يقوم إلا على إدراك، ما استخدمه من ظواهر نفسية، ونواميس روحية، أدار عليها بيانه مستدلا، وهاديا، ومقنعا ومجادلا، ومثيرا ومهددا، فأصح ما يبنى عليه هذا التفسير هو القواعد النفسية" (الخولى، ٢٠١٧، ص١٥١، ص١٥٤)، وحين نحاول فهم ما يقصده الخولي بهذا المصطلح – الإعجاز النفسي- نجده لا يبتعد كثيرًا عما نسميه اليوم بالمعنى التداولي للخطاب؛ فالقرآن – باعتباره خطابًا- تختزل لغته عدة وظائف سياقية، منها ما هو اجتماعي، وسياسي، وثقافي، وتاريخي، وعقدي، إنه لا يفسر القرآن باعتباره بنية مغلقة، وإنما باعتباره بنية منفتحة، ذات مقاصد متعددة، ويجب النظر في هذه المقاصد بالربط بين هذه البنية اللغوية والتلقي، فالخطاب هنا يتقصد تغيير وضعية المتلقي، وليس مجرد نقل معرفة؛ القرآن في هذا التفسير دعوة، وكل دعوة متصلة بمجموعة من المقاصد التي ينتقل بها المتلقي من موقف (أ) إلي موقف (ب) (عيد، ٢٠١٨، ص٤١٥).

يتضح هذا أيضًا فيما أسماه أمين الخولى الغرض البعيد لتجديد علوم العربية، حيث يقول: " هذه الدراسات الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة، وترضى كرامتها الشخصية، وتساير حاجاتها الفنية المتجددة. فتكون اللغة في مصر مثلا لغة الحياة في ألونها المختلفة.. فلا يفكر الناس بلغة، ويدونون أفكارهم بغيرها، ولا يتعاملون بلغة، ويشعرون وينثرون، ويمثلون، ويخطبون بغيرها، ولا تكون اللغة سببا في فرض نظام من الطبقات على الأمة بحيث يتسع البعد بين خاصة الأمة وعامتهم في اللغة المتفاهم بها" الخولى، ٢٠١٧، ص١٩٩). ونستطيع أن نجد هذا الكلام يقارب على نحو ما من أسس كلاوس برينكر في مقاربة القصد، أو الفعل الكلامي؛ فقد ضبط أسسه أولا: بالصيغ والأبنية اللغوية التي يعبر الباث (الخطيب) بشكل صريح عن نوع الاحتكاك التواصلي حيال المتلقي، كأن يستخدم صيغا أدائية صريحة... وثانيا: صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الباث (الخطيب) بشكل صريح أو ضمني، عن

موقفه من مضمون النص.. وثالثا: اعتبار المؤشرات السياقية، مثل الإطار الموقفي، وبخاصة المؤسسي للنص، أو المجال الاجتماعي للفعل والمعرفة الخلفية المفترضة" (برينكر، د.ت، ص ص١٢٨- ١٢٩). وعلي أية حال يتضح من ذلك أن الإمام الخولي يريد من الخطيب الوصول إلى قلب المخاطبين من أجل حسن استماعهم، وبالتالي التأثير فيهم بردعهم عن فعل السيئات وحثهم على عمل الخير لما فيه من صالح للفرد والمجتمع .

٣-الأسلوب الجدلي : إن المجادلة لابد من أن تحتوي آداب الخطاب الواجب توفرها، كما نبه لذلك الشرع من خلال القرآن الكريم، والذي دعا إلى الحوار والجدل الحسن للمسلمين ولغيرهم من الأديان الأخرى، فقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (العنكبوت، الآيه ٤٦). وفي المجادلة هنا دعوة للحوار والتسامح بين الأديان لبث السلام بين الأفراد والمجتمع، فلا مجال للعصبية والتعصب من قبل فقهاء الأمة ودعاتها في الخطاب الديني؛ ولذلك حثهم على الجدل الهادف الذي يؤدي إلى إيقاظ الأذهان لا إيهامها، وهو ما أكد عليه الشيخ الخولي في دراسته لتاريخ الأديان، حيث يرى: " إن البحث العلمي النزيه، عن اتصال الأديان، وآثار ذلك الاتصال، خطوة صالحة، في سبيل السلام العالمي، والأخوة الإنسانية، التي سمت إليها الروح الدينية العالية، وحلمت بها الفلسفة منذ شروق شمس الحياة الفكرية، ثم لا تزال تتطلع إليها العناصر الكريمة في الحياة العاملة" (الخولى، ١٩٩٣، ص١٧). ولذلك عمل الخولي على توجيه خطباء الأمة لوجود جدلية رائعة في الخطاب الموجه للناس من خلال وضع رؤيته عن صلة الإسلام بإصلاح المسيحية وكيف أن أهم نتائج هذه الصلة؛ تحرير العقل عن طريق الفلسفة بما تحتويه من منطق، حيث يقول: "تم هذا التحرير بتأثير عوامل مختلفة، كهذه المعارف العلمية المتنوعة التي اتصل بها الغربيون، وكان للشرق فضل الهداية إليها، وكالحركة الفلسفية التي ذكرنا علاقة الغرب فيها بالشرق، والفلسفة دائما تعطى العقل قوة الشعور بنفسه، والإحساس بوجوده" (الخولى، ١٩٩٣، ص٥٦)، إذًا فالمنطق ضرورة من ضروريات الخطاب الديني لما يستخدمه من فعل الجدل والحجج المختلفة التي هي أساس لكل خطاب، وإذا كانت اللغة مهمة للنهوض بالخطاب فلا يقل علم المنطق أهمية في توصيل الخطاب بشكل عقلي مفهوم، فهو دائماً متحد باللغة للوصول الصحيح إلى ذهن السامعين.

ومن خلال هذه الأساليب الثلاثة نجد الارتباط الوثيق بين الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة؛ وهو ما سعى إليه الخولي في بحثه لتطوير البلاغة التي هي الأعجاز الذي يعد أساس الخطاب الديني، ذلك هو عناية الفلسفة والبلاغة معا بالجمال، فينتج خطابا قويا فعلا ومؤثراً في النفس الإنسانية، مثلما يقول: " إن البلاغة تتمنى إن لم يكن لها بالفلسفة تلك العلاقات السابقة. وحبذا ولم يكن لها إلا تلك العلاقة العامة، التي أشرنا إليها أول المحاضرة وهي عناية الفلسفة والبلاغة بالجمال، فتعمل البلاغة العمل الصادق في درس الجمال القولي" (الخولى، ٢٠١٧، ص١٣٢).

الخاتمة: نتائج البحث

بعد مناقشة أساليب الخطاب الديني عند الأستاذ أمين الخولي وأثر الفلسفة والمنطق والبلاغة عليها؛ يمكن إجمال النتائج التي انتهى إليها البحث في النقاط الآتية:

- أبرز أمين الخولي أهميته تجديد الخطاب الديني في الغرض الذي يسعى من أجله التجديد؛ ألا وهو إظهار ما في القرآن الكريم من هدى ورحمه للإنسان والبشرية كافة في كل زمان ومكان.
- من أجل ذلك سعى الخولي إلى ربط البلاغة بالحياة المعاصرة عن طريق الارتقاء بأساليبها، لتساير حركة الفكر والإبداع، وإعطائها الصبغة العلمية التي غدت ميزة معارف العصر الحديث.
- محاولة أمين الخولي في استحالة البلاغة إلى فن القول، حفزت الأذهان إلى الرؤية التجديدية لعلم البلاغة والمتعلق بالجانب الإقناعي، لتغدو البلاغة في ظله نظرية حجاجية تستهدف كل أشكال الخطاب.
- يشدد الخولي على العنصر النفسي، السيكولوجي، في علاقة الخطيب بالمخاطب، أو المتلقي، فلئن احتلت البلاغة وجماليتها موقعها في مقاربته النص، فلأن الخولي في تجديده للبلاغة أكد على تحريرها من الفلسفة ككل، واحتفاظها بالذوق الجمالي التي تنشده فلسفة الجمال، مع ترك المجال لعلم النفس من أجل انطلاقها لتخاطب النفس الإنسانية والحس الجمالي فتربى الذوق والوجدان، في أطروحته" فن القول".
- ضم فكر الخولي أساليب الخطاب منذ أبى حامد الغزالي، مرورا بالطاهر بن عاشور وغيره، ووصولا بنظريات العصر الحديث .

التوصيات:

- إعداد أبحاث ودراسات حول هذه العلاقة بين البلاغة والفلسفة من أجل تجديد مستنير للخطاب الديني.
- الاهتمام بدراسة الجانب العقلى المنطقى للفكر الدينى بشكل عام، وفى كتابات أمين الخولى بشكل خاص.

قائمة المراجع:

أولا: المصادر العربية:-

القرآن الكريم
الغزالى، أبو حامد (٢٠١١) *إحياء علوم الدين*، بيروت، دار منهاج.
الغزالى، أبو حامد (٢٠٠٧) *القسطاس المستقيم*، دار الشرق، بيروت.
إبن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (١٩٧٩)، معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
العسقلانى، أحمد بن على بن حجر (١٩٦٠)، *فتح الباري بشرح صحيح البخارى*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار المعرفة، بيروت.
الخولي، أمين (١٩٣١) *البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها*، بحث ألقى في الجمعية الجغرافية الملكية.
الخولي، أمين (١٩٩٣)، *صلة الإسلام بإصلاح المسيحية*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الخولي، أمين (١٩٣٤)، *كناش في الفلسفة وتاريخها*، ط٢، القاهرة، مطبعة العلوم.
الخولي، أمين (١٩٩٦)، *فن القول*، القاهرة، دار الكتب المصرية.
الخولي، أمين (٢٠١٧)، *مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الخولي، أمين (٢٠٠٣)، *المجددون في الإسلام*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ابن منظور، جمال الدين (٢٠١٠)، *لسان العرب*، ط٣، بيروت، دار صادر.
الجهينى، على بن مناور الرفاعى (٢٠٢٠)، *الخطاب الديني الواجب اليوم*، مجلة البحث العلمى الاسلامى.
الزركلى، خير الدين بن فارس (٢٠٠٢)، *الاعلام*، ط ١٥، بيروت، دار العلم للملايين.
الذهبى، شمس الدين محمد (١٩٨٥) سير أعلام النبلاء، ط٣، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت، مؤسسة الرسالة.
الجرجانى، عبد القاهر (١٩٩١)، *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود محمد شاكر، جدة، مطبعة المدنى.
الجرجانى، عبد القاهر (١٣١٩هـ)، *أسرار البلاغة*، القاهرة، مطبعة الترقى.
الجاحظ، أبو عثمان (١٩٢٧)، *البيان والتبين*، تحقيق: حسن السندوبى، القاهرة، طبعة المكتبة التجارية الكبرى.
ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٣٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، طبعة بولاق .
العلوى (١٩١٤)، *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز*، القاهرة، طبعة المقتطف.
الرازي، فخر الدين (١٩٩٧)، *المحصل*، دراسة وتحقيق طه جابر العلواني، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ثانيًا : المراجع العربية والمعربة:

الطيار، أحمد عبد الله (٢٠٠٥) *تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد*، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد ٢٢، المجلد الثالث.
البستانى، بطرس (١٩٩٨) *دائرة المعارف*، قاموس عام، بيروت، دار المعرفة.
فضل، صلاح (١٩٩٢)، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٦٤.
إبن عاشور، الطاهر (١٤٣٣هـ) *أصول الإنشاء والخطابة*، تحقيق: ياسر بن حامد، الرياض.

إبن عاشور، الطاهر (١٩٨٤) *التحرير والتنوير*، تونس، الدار التونسية.
أرمينيكو، فرانسوار (١٩٨٧) *المقاربة التداولية*، ترجمة سعيد علوش، بيروت، مركز الإنماء القومى.
برينكر، كلاوس (د.ت) *التحليل اللغوى للنصوص .. مدخل إلى المفاهيم والمناهج*، ترجمة: سعيد حسن بحيرى، القاهرة، مؤسسة المختار.
الريفى، هشام (١٩٩٨)، *الحجاج عند أرسطو*، ضمن كتاب"أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، اشراف حمادى صمود، تونس.
عيد، محمد عبد الباسط (٢٠١٨)، *البلاغة والتفسير والهوية الجمالية*، مجلة فصول، المجلد (٤/٢٦)، العدد ١٠٤.
عبده، محمد (١٣٤٥هـ)، *تفسير الفاتحة*، القاهرة، ط المنار.
وجدى، محمد فريد (١٩٧١)، *دائرة معارف القرن العشرين*، بيروت، دار المعرفة، ط٣
يونس، محمد (٢٠٠٤) *الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية*، الأمارات، دار القلم للنشر والتوزيع.

English References:

In Barthes,R ,(1970) *lancienne rhetorique*,aide memaire,communication,No 16,seuil.